ملخص لأهم دروس العروض و موسيقى الشعر

1ـ مُنشئ علم العروض: لا يمكن الخوض في تفاصيل العروض و موسيقى الشعر من غير الجديث عن النشئ الأوحد لهذا الفن العريق البديع، و هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أعطى كثيرا للثقافة العربية و لما يأخذ حقه من العناية و الكَلَف به.

و حسبه ان قال أحد أكابر التابعين، سفيان الثوري، في حقة: "من أحبّ أن ينظر إلى رجل خُلِق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد" (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج01، ص301)، و هي كلمة كفيلة بأن تبرز ما تميز به أبو عبد الرحمن "سيّد الأدباء في علمه و زهده"، فهو السابق إلى كثير من العلوم إذ أنه "أول من استخرج العروض، و ضبط اللغة، و حصر أشعار العرب".(ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص300)؛ فقد كانت العربية تجري منه مجرى الدم . و لا غرو فهو أزديّ خالص العروبة، و كان من أعلم الناس بالقرآن و السُّنة؛ فهو الذي وصل بين إمامين من السبعة القرّاء الذين أجمعت الأمّة على الأخذ منهم: أبي عمرو بن العلاء أستاذه، والكسائي تلميذه. فالخليل بن أحمد المؤسس الأول لأكثر علوم اللسان العربي؛ فمقدمة كتاب العين وثيقة نفيسة في علم الأصوات نظريّه و تطبيقيّه، و تعريفات معجمه كتاب العين مكتنزة بالتحليل الصرفي لأبنية كلمات اللسان العربي، و كتاب سيبويه خزانة نحوية فريدة لآراء الفراهيدي، و كتاب العين معجم

تام مبكر مُحْصٍ للممكن من كلم العربية و معرِّفٍ بالمستعمَل منه، كما به نظريات و مصطلحات معجمية و دلالية ذات شأن. و إنّ هذه لهي الفروع العلمية للسانيات الحديثة كاملة. هذا، و إنّ سبق الخليل إلى علم العروض وضعا و تطبيقا و إحاطة بكل جوانبه بما لم يترك مِن زيادة لمستزيد لدليلٌ ساطع على رسوخه في فنون الإيقاع و نقد الشعر و علوم اللسان و طرق الاستدلال و الاستنباط معاً. ذلك بعضٌ مما جعله عبقريا فريدا من عباقرة الإنسانية، حتى قالوا إنّ عقله أكبر من علمه، مع موسوعيته و غزارته، و حين مات قالوا: تُوُفِي أذكى الناس.

من أهمّ مؤلفاته: كتاب الإيقاع، وكتاب النّغم، و كتاب العروض، وكتاب الشواهد، و كتاب النقط والشكل، وكتاب فائت العين ، وكتاب الجمل، وكتاب العوامل، إضافة إلى كتاب العين . هذا مع أنّ الخليل كان لا يحبّ أن يؤلّف في علم سَبَقه إلى التأليف فيه غيرُه (السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة و أنواعها، دار الجيل، بيروت، ط 01، ج01، ص 80). فيا لَهِمّة الرجل و سمو روحه العلمية لهذا. و لولا أن يسطو الاستطراد على الغرض من هذا الملخص لدروس علم العروض و موسيقى الشعر و مَطالبه الأساسية لكان الحديث عن الخليل بن أحمد أطول و أكثر تفصيلا ، و إنه لجدير بذلك و أحق.

2 ـ مصطلحية العروض و مفهومه:

أضحى لفظ عروض مصطلحا دالا على فرع علمي و أدبي قائم بذاته منذ أن أرسى قواعده و شاد بنيانه الخليل بن أحمد الفراهيدي. و كلمة عروض، من حيث الاشتقاق، ترجع إلى الجذر (ع ر ض) الذي يدل في أصله على ما يخالف الطول، (ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص269) و منه كلمة عروض التي تعني الطريق في عُرض الجَبل، كما نص عليه الخليل نفسه (الفراهيدي، كتاب العين، ج1، ص275)، و تعني أيضاً العارضة التي في وسط الخيمة و التي هي قوامها (ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص184)، كما تعني الناحيةَ من الشيء، و هي صيغة مبالغة على وزن فَعول من العَرض، تفيد ما يُعرَض كثيرا أو ما تُعرض عليه الأشياء عادةً. و لعل الخليل استوحى إطلاق لفظ العروض على العلم الذي أسسه و أتمّه من هذه الدلالات اللغوية كلها؛ فبحور الشعر طرقٌ إلى النظم و العروض سبيلها الموصِل، و العروض قوام الشعر و رافع بنائه، و العروض ناحية من العلم، و هو أيضاً الحَكَم الذي يُعرَض عليه الشعر و المضمار الذي يُقاس على معالمه. من كلّ هذا وجد الخليل سبيلا إلى زحزحة لفظ العروض إلى المصطلحية العربية؛ إذ أطلقه على الحقل المعرفي الذي ابتكره، فصار دالا على العلم الذي يُعرف به صحيح أوزان الشعر العربى وفاسدها و سلامة تفعيلاته و ما يعتريها من الزحافات والعلل.

فالهدف من وضع هذا العلم هو تقنين أوزان الشعر العربى وموسيقاه، وحفظ الصورة الإيقاعيه المشرقه للشعر، كما جادت بها قرائح الشعراء العرب فى عصور الفطرة

السليمه، البعيدة من اللحن اللغوى و الاضطراب الإيقاعى، على غرار المعلقات السبع المذهبات.

و مسك تعليل تسمية الخليل هذا العلم بالعروض، أنّه يُطلق على ناحية الحجاز التي تضم مكة المكرمة، فلعله اهتدى إلى عروض الشعر و هو بجوار بيت الله، فأراد التبرك بها من خلال وسم ما وُفِّق إليه من أحكام و ضوابط تهدي الشعراء في مسيرة إبداعاتهم.

3 ـ المكونات الأساسية لإيقاع الشعر العربي في المصطلحية الخليلية

3 ـ 1 ـ التفعيلة:

أبدع الخليل في وضع وحدات القياس التي يوزَن بها إيقاع الشعر، و هي التي سماها بالتفعيلات، و لعله قد استوحاها من الأوزان الصرفية التي هي صيغٌ لضبط أبنية الكلمات. و لكل بحر (وزن) من بحور الشعر نصيب من هذه التفعيلات، و التي يبلغ عددها عشر تفعيلات، و هي: فعول، و مفاعيلن، و مفاعلتن، و فاعلاتن، و مستفعلن، و متفاعلن، و مفعولات، و مستفع لن، و فاع لاتن، و فاعلن. و الحروف التي تتكون منها التفاعيل عشرة أيضاً، و هي المجموعة في عبارة: (لمعت سيوفنا)

واذا أردنا أن نعرف مكونات أى تفعيله من (الحركات أو السكونات علينا أن نتبع الآتى:

أ ـ الحرف المنطوق هو الذى يحسب فى الميزان العروضى وهذا عكس الميزان الصرفى – حيث يراعى فيه كل الحروف – والأصل المنقلب عنه الحرف والمجرد والمزيد من الأفعال.

أما الميزان العروضى فلا يراعى فيه إلا الحرف المنطوق، ولذلك عرف فى علم العروض ما يسمى بالكتابه العروضيه.

ب ـ الحرف المشدد يحتسب بحرفين أولهما ساكن وثانيهما متحرك كما يحتسب الحرف المنون بحرفين أولهما متحرك والثانى ساكن، وذلك كما فى كلمة (محمّدٌ) فإننا نكتبها حسب الكتابه العروضيه هكذا (محممدن) .

ـ الأجزاء المُكوِّنة للتفعيلات:

تتكوّن كلٌّ من التفعيلات العشر من مقاطع صوتية يعتمد تصنيفها على ما تحتويه من حركات و سواكن و ترتيبها فيما بينها. وهي ثلاثة أنواع: السبب، و الوتد، و الفاصلة.

أولاً: السبب، و ينقسم الى قسمين:

أ ـ السبب الخفيف: وهو ما تكون من حرفين أولهما متحرك والثانى ساكن مثل (فا) من فاعلن، أو مثل قولنا (لم) و (فى) فالحرف الأول متحرك والثانى ساكن.

ب ـ السبب الثقيل: وهو ما تكون من حرفين متحركين مثل قولنا (بك، لك، أو (حرف العين واللام) (من مفاعلتن) (عل) .

ثانياً: الوتد، وهو عباره عن ثلاثة أحرف متواليه فى التفعيله الشعريه، وينفسم الى قسمين:

أ ـ الوتد المجموع: وهو ما كان الحرفان الأولان فيه متحركين، والثالث ساكنا مثل (مفا) فى تفعيلة (مفاعيلن) ، أو قولنا: (نما، و سما) .

ب ـ الوتد المفروق: وهو ما تكون من ثلاثة أحرف، الأول والثالث متحركان، والحرف الثانى ساكن، مثل (فاع) من (فاع لاتن) .

ثالثاً: الفاصله، وهى تنقسم الى قسمين:

أ ـ الفاصله الصغرى: وهى تتكون من ثلاثة حروف ورابعها ساكن مثل قولنا: (جبلٌ) أو (جبلن) .

ب ـ الفاصله الكبرى: تتكون من أربعة حروف خامسها ساكن مثل قولنا: (سمكةٌ) وتكتب هكذا (سمكتن) .

وقد جمع علماء العروض الأسباب والأوتاد والفواصل فى العباره الآتيه:

(لم ـ أرَ ـ على ـ ظهْرِ ـ جَبَلٍ ـ سَمَكَةً) مفصَّلة على النحو الآتي:

ـ لمْ: سبب خفيف، متحرك فساكن.

ـ أَر: سبب ثقيل، متحركان.

ـ عَلَى: وتد مجموع، متحركان فساكن.

ـ ظَهْرِ: وتد مفروق، متحركان بينهما ساكن.

ـ جَبَلٍ: فاصله صغرى، ثلاث حركات رابعهما ساكن.

ـ سَمَكَةً: فاصله كبرى، أربع متحركات خامسها ساكن.

ـ مكونات التفاعيل من الأسباب والأوتاد والفواصل:

أ ـ (فعولن) مكونه من وتد مجموع وهو (فعو) ، وسبب خفيف وهو (لن)

ب ـ (مفاعيلن) : وتد مجموع وهو (مفا) وسببين خفيفين هما (عيلن)

ج ـ (مفاعلتن) مكونه من وتد مجموع وهو (مفا) وسبب ثقيل وهو (عل) وسبب خفيف وهو (تن) .

د ـ (فاع لاتن) مكونه من وتد مفروق وهو (فاع) وسببين خفيفين وهما (لا ـ تن)

هـ ـ (فاعلن) مكونه من سبب خفيف وهو (فا) ووتد مجموع وهو (علن) .

وـ (فاعلاتن) مكونه من سبب خفيف وهو (فا) ووتد مجموع وهو (علا) وسبب خفيف وهو (تن)

ز ـ (مستفعلن) مكونه من سببين خفيفين وهما (مس / تف) ووتد مجموع وهو (علن) .

ح ـ (متفاعلن) مكونه من سبب ثقيل وهو (مت) وسبب خفيف وهو (فا) ووتد مجموع وهو (علن) .

ط ـ (مفعولات) مكونه من سببين خفيفين: (مف ـ عو) ووتد مفروق وهو (لات)

ي ـ (مستفع لن) مكونه من سبب خفيف وهو (مس) ، ووتد مفروق وهو (تفع) وسبب خفيف وهو (لن) .

3 ـ 2 ـ البيت:

البيت هو السطر من الشعر، و هو المظهر التام لوزن القصيدة. و قد عرّفه العروضيون بأنه كلام تام يتألف من عدة تفعيلات وينتهى بقافية. ومن مجموع الأبيات تتكون القصيده الشعريه، وهى فى مفهوم علماء العروض لابد أن تتكون من سبعة أبيات. و كأنها تمثل من حيث عدد أبياتها الصورة التامة لتوالي الأبيات، و ذلك لما يمثله العدد (سبعة) من دلالات مستوحاة من عدد كلٍّ مِن أيام الأسبوع و أشواط الطواف و السماوات و الأرَضين...

لذا سمّى العروضيون ما دون السبعة أبيات من النصوص الشعرية بأسماء أخر غير القصيدة؛ فالبيت الواحد يسمى مفرداً أو يتيماً ، و يسمى البيتان نُتْفَة ، وتسمى الأبيات من ثلاثة إلى ستة قطعة. أمّا السبعة أبيات من الشعر فما فوقها، فهي التي تُسمى قصيدة.

ـ أجزاء البيت الواحد في علم العروض:

أ ـ النصف الأول من البيت يطلقون عليه (صدر البيت) ، أو (الشطر الأول)

ب ـ والنصف الثانى يسمونه (عجُز البيت) أو (الشطر الثانى)

ج ـ العروض – وهى التفعيله الأخيرة من الشطر الأول.

د ـ الحشو: وهو ماعدا العروض والضرب من أجزاء البيت فى الصدر والعجز

ـ تسميات البيت الشعري من حيث عدد تفعيلاته و تغيّر بعضها:

زيادةً على مكونات البيت و أجزائه فإنّ له تصنيفا قائما على أحوالٍ تطرأ على تفعيلاته، إحداها أو جميعها، جعل لها الخليل أساءً مميِّزةً لكلٍّ منها، هي أقرب إلى الوصف منها إلى التسمية، غير أنها أثرتْ المصطلحية العروضية بألفاظ فارقةٍ تدل على رسوخ علم الفراهيدي في السان العربي و موسيقى الشعر معاً.

و تعدد تلكم التسميات الخليلية للبيت الشعري بحسب عدد تفعيلاته، أو صورة قافيته أو العلاقة بين اصدره و عجُزه، أو المخالفه بين هيئتى العروض والضرب.

ـ تسميات (أو ألقابه) البيت مِن التصور الكمي لعدد تفعيلاته:

أ ـ البيت التام: و هو ما استوفى كل اجزائه مثل قول شوقى فى وصف النيل.

من أى عهد فى القرى تتدفق وبأى كف فى المدائن تغدق

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

فالبيت من بحر الكامل، وقد استوفى التفعيلات الست كامله ولا نقصان فيها.

ب ـ البيت الوافى: وهو ما استوفى كل اجزائه مع نقص فى تفعيلة العروض أو الضرب أو في كلتيهما ببعض العلل التي لا تصيب أو لا يمكن أن تصيب تفعيلات الحشو، مثل قول امرئ القيس في معلقته واصفاً فرسه:

لهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وساقا نَعـــامَةٍ وإِرْخاءُ سَرْحانٍ و تَقْريبُ تَتْفُلِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

فعروض البيت هنا و ضربه مقبوضان (أي حُذف خامسها الساكن، و هو من الزحافات الجائزة الكثيرة في بحر الطويل). و منه كان نقص في تفعيلتَيْ العروض و الضرب؛ إذ جاءتا في صورة (مفاعلن) بدلا من مفاعيلن السالمة التامة. و يلزم هذا الزحاف الضرب و العروض في كل أبيات القصيدة الواحدة، بينما لا يلزم تفعيلات الحشو إلا ما جاء اضطرارا من غير أن يلزم موضعا محددا.

ج- البيت المجزوء: وهو ما حذفت منه تفعيلتان: إحداهما من الصدر و الأخرى من العجز،و هما جزءا عروضه وضربه، مثل قول أحمد شوقى من مجزوء الكامل متحدثا عن الشخص الأحق بامتلاك زمام الدنيا:

جُـعِلَتْ لِحُرٍّ يُبْتَـلَى فى ذي الحياةِ ويَبْتَلِي

متــفـاعــلن متْفـاعلن متْــفـاعــلن متـفاعلن

فالبيت الشعرى هنا مكون من أربع تفعيلات والتفعيله الثانيه هنا تسمى عروضاً، والتفعيله الرابعه هي التي تسمى ضربا؛ لأنّ تفعيلتَيْ العروض و الضرب في الوزن الأصلي المتكون من ستِّ تفعيلات قد حُذفتا.

د- البيت المشطور: وهو ما حذف نصفه، وبقى نصفه، مثل قول الشاعر:

إنك لا تجنى من الشوك العنب

فالبيت هنا من بحر الرجز، وهو مكون من ثلاث تفعيلات فقط ولذلك يسمى مشطورا أى نصف بيت.

هـ- البيت المنهوك: وهو ما حذف ثلثا شطريه وبقى الثلث الآخر مثل قول الشاعر:

ياليتنى فيها جزع

أخب فيها وأضع

ـ ألقاب البيت الشعري بحسب القافية:

تطلق على البيت ألقابٌ أخر ترجع إلى صورة القافيه والعلاقه بين العروض والضرب فى هيئة اللفظ وصورة الوزن:

أ- البيت المصمت: وهو ما خالفت عروضه ضربه فى الروى مثل قول ابن زيدون فى مطلع قصيدة له من بحر الطويل:

لعمرى، لئن قلّتْ اليك رسائلى لأنت الذى نفسى عليه تذوب

فلا تحسبوا أنى تبدلت غيركـــم ولا أن قلبى من هواك، يتـــوب

ب- البيت المصروع: وهو ما غيرت عروضه للالحاق بضربه بزياده أو نقص.

فمثال العروض التى تغير بزيادة للالحاق بالضرب قول ابن زيدون فى مطلع قصيدة يمدح فيها ابن جهور ويرثى أمه:

هو الدهر فاصبر للذى أحدث الدهر فمن شيم الأبرار فى مثلها الصـــبر

فعروض بحر الطويل تأتي دائما مقبوضه، وهى هنا جاءت تامه على وزن (مفاعيلن)، و هي في البيت: (دَثَ الدَّهْرُ) للإلحاق بالضرب التام وحقها أن تكون مقبوضه على وزن (مفاعلن) لأن القبض هو حذف الخامس الساكن، فتحذف الياء من مفاعيلن فتصير (مفاعلن) .

ومثال العروض التى تغير بنقص للالحاق بالضرب قول ابن زيدون فى مطلع غزلى من قصيدة يمدح فيها الوزير محمد بن جهور:

أما علمتْ أن الشفيع شباب فيقصر عن لوم المحب عتاب

فالعروض هنا (شباب) على وزن (مفاعي) ، وتنقل الى فعولن وهذا التغيير بالنقص يسمى (الحذف) وهو إسقاط سبب خفيف من آخر التفعيله العروض أو الضرب حيث تتحول (مفاعيلن) الى (مفاعى وتنقل الى فعولن)

ج - البيت المقفى: وهو البيت الذى تساوى فيه العروض والضرب من غير تغيير، مثل قول ابن زيدون فى مطلع قصيده يرثى فيها أم المعتضد ويمدحه.

ألا هل درى الداعي المَثوبُ إذ دعا بنعيك أن الدين من بعض ما نعى

فالعروض هنا مقبوضه، والضرب مقبوض، وهما كذلك فى الضوابط العروضيه لهذا البحر.

د - البيت المدور: وهو البيت الذي اشترك شطراه فى كلمة واحدة بأن يكون بعضها من الشطر الأول وبعضها من الشطر الثانى، ومنه قول أبي العلاء المعري في إحدى قصائده التأملية في الحياة و الموت:

خففِ الوطْءَ ما أظنُّ أديمَ الـ أرض إلا من هذه الأجسادِ

تعبٌ كلها الحياةُ فما أعْـــــ ـجبُ إلا من راغبٍ في ازديادِ

4 ـ الزحافات و العلل

4 ـ 1 ـ الزحاف:

يعرف علماء العروض الزحاف بأنه تغيير يلحق ثوانى أسباب الأجزاء للبيت؛ أى أنه يقع فى السبب الثقيل أو الخفيف من التفعيله ـ و له صورتان من التغيير: تسكين الحركة أو حذف السكون.

فتغيير الحركه مثل تسكين التاء فى (متَفاعلن) فتصير (متْفاعلن)، أما حذف الساكن فمثله حذف الألف في (فاعلن) فتصير (فعلن) ويسمى ذلك التغيير فى شكل التفعيله (خبنا)، و مثله حذف الرابع الساكن من التفعيلة، و يسمى طيّاً، و كذا حذف الخامس الساكن (قبض)، و حذف السابع الساكن من التفعيلة السباعية، و ذلك هو الكف.

و أهم خصيصة من خصائص الزحاف أنه إذا دخل فى بيت من أبيات القصيده فلا يجب إلتزامه فى باقى الأبيات، و أنه يمكن أن يدخل أجزاء البيت كلها (من صدر وعجز، وعروض وضرب وحشو) .

4 ـ 2 ـ العلة:

العلة تغيير فى شكل التفعيله مختص بثوانى الأسباب واقع فى عروض البيت وضربه؛ أى فى التفعيله الأخيره من صدر البيت و عجُزه. و يكون هذا التغيير لازما؛ أى أنه إذا لحق بعروضٍ أو ضربٍ فى أول بيت من القصيده وجب إحداثه فى سائر أبياتها.

و منه أنّ العلة لا تدخل فى حشو البيت، و إنما تختص بالعروض و الضرب، أما الزحاف فيدخل فى جميع أجزاء البيت.

ملاحظة: هذه التغييرات التى تطرأ على التفعيلات الشعريه فى داخل النسق الإيقاعى للبحر الشعرى، الذى ينظم عليه الشاعر قصيدته أو قصائده تتنوع بين تغيير الحركة و حذف بعض الحروف، و زيادة بعض الحروف و تغيير مزدوج باجتماع زحافين فى تفعيله واحدة. كل هذه التنويعات فى شكل التفعيله الشعريه، لا تسبب اضطرابا فى موسيقى الشعر، ولا خللا فى إيقاعه، بل عدها النقاد مظهر ثراء للموسيقى الشعريه وبخاصة فى (الشعر المقفى) لأنها تقضى على الرتابه الإيقاعيه، وتدفع الملل عن المتلقى.

4 ـ 3 ـ أنواع الزحافات:

الزحافات نوعان: زحاف مفرد و آخر مركّب.

ـــ الزحاف المفرد:

وهو الذى يدخل فى سبب واحد من التفعيلة، على نحو: حذف الفاء من(مستفعلن) لتصبح (مستعلن). والتغييرات فى الزحاف المفرد ثمانيه:

ا - الإضمار: وهو تسكين الثانى المتحرك فى (متفاعلن) فتصير متفاعلن بإسكان التاء.

ب - الخَبْن: وهو حذف الثانى الساكن مثل حذف الألف من فاعلن فتصير (فعلن) ، وحذف السين من (مستفعلن) فتصير (متفعلن) .

ج - الوَقْص: وهو حذف ثانى التفعيلة متى كان متحركا وثانى سبب، مثل حذف التاء من (متفاعلن) فتصير (مفاعلن). و هذا التغيير شاذ ونادر الوجود فى تفعيلة بحر الكامل (متفاعلن)، فالمعهود في الزحافات المفردة تسكين المتحرك أو حذف الساكن .

د - الطَيّ: وهو حذف رابع التفعيله متى كان ساكنا وثانى سبب، مثل حذف الفاء من (مستفعلن) فتصير(مستعلن) أو حذف الألف من (متفاعلن) فتصير (متفعلن)، أو حذف الواو من (مفعولات) فتصير (مفعلات) .

هـ - العَصْب: و هو إسكان خامس التفعيله متى كان متحركا وثانى سبب، مثل تسكين اللام فى (مفاعلَتن)، فتصير (مفاعلْتن) بتسكين اللام.

و - القَبْض: وهو حذف خامس التفعيله متى كان ساكنا وثانى سبب، مثل حذف النون من (فعولن) فتصير (فعول) وحذف الياء من (مفاعلين) فتصير (مفاعلن) .

ز - العَقْل: وهو حذف خامس التفعيله متى كان متحركا وثانى سبب، مثل حذف اللام من (مفاعلتن) فتصير (مفاعتن) وتنقل الى (مفاعلن) .

ويلاحظ أن هذا التغيير شاذ ونادر الوجود فى تفاعيل بحر الوافر، بل لا يكاد يُعثر عليه في القصائد التي نُظِمتْ على بحر الوافر.

ح - الكَفّ: وهو حذف سابع التفعيله متى كان ساكنا وثانى سبب مثل حذف النون من (مفاعيلن) فتصير (مفاعيل) ، و مثل حذف النون من (مستفعلن) فتصير (مستفعل) ومثل حذف النون

من (فاعلاتن) فتصير (فاعلات) ومثل حذف النون من (فاع لاتن) فتصير (فاع لات) .

استنتاج: عند التأمل في تعريفات أنواع الزحاف المفرد نجد أنه لا يتناول من التفعيلة الا الحرف الثانى أو الرابع أو الخامس أو السابع فهو لا يدخل الحرف الأول بداهة، ولا الثالث لأنه لا يكون الا أول سبب أو ثالث وتد، ولا السادس لأنه، أى الحرف السادس إما أن يكون أول سبب أو ثانى (وتد) ، وذلك لأنه لا تتوالى ثلاثة أسباب فى تفعيله واحده.

ـ الزحاف المركب:

يتمثل الزحاف المركب في دخول زحافين في تفعيلة واحدة. و أنواعه هي:

ا ـ الخَبْل: وهو مركب من الخبن والطى فى تفعيله واحده كحذف سين وفاء من (مستفعلن) فتصير (متعلن) وحذف الفاء والواو من (مفعولات) فتصير (معلات)

ب ـ الخَذْل: وهو مركب من الإضمار والطى كإسكان التاء وحذف الألف من (متفاعلن) فتصير (متفعلن) بإسكان التاء وهذا التغيير نادر الإستعمال فى موسيقى بحر الكامل.

ج ـ الشَكْل: وهو مركب من الخبن والكف كحذف الألف الأولى والنون الأخيره من (فاعلاتن) فتصير (فعلات) .

د ـ النَقْص: وهو مركب من العصب والكف كتسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن من (مفاعلتن) فتصير (مفاعلت) .

4 ـ 4 ـ أنواع العلل:

العلة نوعان: علةُ زيادة و علة نقص

ـ علة الزيادة:

ا ـ الترفيل: وهو زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع نحو (فاعلن) ، فتقلب النون ألفا وتزيد سببا خفيفا فتصير (فاعلاتن) ونحو (متفاعلن) فتصير (متفاعلاتن) .

ب ـ التذليل: وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع نحو (مستفعلن) فتصير (مستفعلتن) وتنقل الى (مستفعلان) ونحو (متفاعلن) وتصير (متفاعلان) ونحو (فاعلن) فتصير (فاعلان) .

ج ـ التسبيغ: وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف نحو (فاعلاتن) تصير (فاعلاتان)

ـــ علة النقص:

ا ـ الحذف: وهو إسقاط السبب الخفيف من آخر التفعيله مثل (مفاعيلن) فتصير (مفاعي) وتنقل الى (فعولن) وهذه العلة توجد فى الضرب الثانى لبحر الهزج بكثرة.

ب ـ القَطْف: وهو إسقلط السبب الخفيف وتسكين ماقبله فى نحو (مفاعلتن) فتصير (مفاعل) وتنقل الى (فعولن) وهذه العله لازمة لعروض وضرب الوافر التام، الذي صار وزنه المتداول عند الناس: مفاعلتن مفاعلتن فعولن، و هو المستعمل من الوافر لدى الشعراء كلهم، بينما أصله في دائرة المؤتلف: مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن.

ج ـ القَصْر: وهو إسقاط ساكن السبب الخفيف وإسكان متحركه فى نحو (مفاعيلن) فتصير (مفاعيل).

د ـ القطع: وهو حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ماقبله فى فاعلن فتصير (فاعل) وتنقل الى (فعْلن) .

وهذه العلة كثيرة الورود فى تفعيلة بحر (المتدارك) المتكون أصلا من تفعيلة فاعلن المتكررة ثماني مرات في البيت التام. و جلُّ مَن نظَم على إيقاعه الشعراء المحدثون، لا سيما شعراء التفعيلة.

هـ ـــ التشـــعيث: وهـــو حـــذف أول، أو ثـــانى الوتـــد المجمـــوع فى نحـــو (فـــاعلن) فتصـــير (فـــالن) أو (فـــاعن) ، فينقـــل الى (فعِـــل) ، ونحو (فاعلاتن) تصير (فعلاتن) .

و ـ الحَذَذ: وهو حذف الوتد المجموع برمته فى (مستفعلن) ، فتصير (مستف) ، وتنقل الى (فعْلن) ، وكذلك (متفاعلن) تصير (متفا) بعد حذف (علن) وهو الوتد المجموع.

ز ـ الصَلْم: وهو حذف الوتد المفروق برمته من آخر الجزء فى (مفعولات) فتصير (مفعو) فتنقل الى (فعْلن) .

و قد وردت هذه العلة من قبل الشعراء فى ضرب بحر السريع بوضوح.

ح. الكَسْف: وهو حذف آخر الوتد المفروق فى (مفعولات) فتصير (مفعولا) وتنقل الى (مفعولن) .

ط ـ الوَقْف: وهو تسكين متحرك آخر الوتد المفروق فى (مفعولات) فيصير (مفعولاتْ) .

وقـد يجتمـع الحـذف والقطـع معـا فيسـمى (بـالبتر) نحـو (فـاعلاتن) فتصـير الى (فاعل) وتنقل الى (فعْلن).

5 ــ بحور الشعر العربي من خلال الدوائر الخليلية

ابتكر الخليل فكرة الدوائر العروضية التي استلهمها من الدوائر الهندسية؛ فقد كان فكر الفراهيدي رياضيا من الطراز العالي. و هذا هو الذي مكّنه من رصد و إحصاء الممكِن الذي يسمح به النظام و المُنجَز الذي تداوله الناس في المعجم و عروض الشعر معاً . و هو ما عبّر عنه الخليل في كتابَيْ العين، معجمه الفريد، و العروض.

و بهذا استطاع الخليل ضبط أوزان الشعر العربي التي سماها بحورا و إحصائها جميعها.

5 ـ 1 ـ مفهوم الدائرة الشعرية و كيفية استخراج البحور منها:

يُطلق لفظ الدائرة العروضية عدد من بحور الشعر التي يتشابه بعضها مع بعض من حيث المقاطع الصوتية الشعرية للتفعيلات، والتي تُسمى الأسباب والأوتاد .

و قد كان تفطن الخليل إلى ظاهرة الدوائر منطلقا من نظرة رياضية هندسية تقتضي أن تشكل الدائرة مسارا مغلقا يبدأ من نقطة محددة و ينتهي إليها لتتم تلكم الدائرة، و إلّا ما صحّت تسميتها بذلك. و من هنا، عدّ الخليل بحور الشعر عناصر متكاملة تبدأ المتشابهة منها إيقاعا بواحد منها و تدور لتنتهي إليه، فلا يخرج منها شيءٌ عن الدائرة التي تنتمي إليها.

فالدائرة العروضية، إذن، خطٌّ هندسي محيطٌ تُرسم فيه رموز الحركات و السواكن، وفق نظام محدد و تجرى عليها عمليات حذف و إضافة للوصول إلى أكبر عدد من الأوزان الشعرية.

ـ تقنية استخراج و إحصاء بحور الشعر من الدوائر:

اهتدى الخليل إلى طريقة أوصلتْه إلى إحصاء كل الأوزان الممكنة للشعر العربي، فما كان منها مستعملا أثبته و سمّاه و درس أحواله، و ما كان منها غير مستعمل سماه أيضاً و نص على أنّه مهمل، و تركه ذخيرة احتياطية لما قد ينزم على إيقاعه شعراءُ يأتون من بعده، فيصير ذلك الوزن المهمل من قبْل بحراً مطروقا من بحور الشعر العربي. و هذا ما حدث لبحر المتدارك؛ فالأخفش، تلميذ الخليل، لم يبتكر جديدا لم يسبقه أحدٌ إليه، و إنما أخرج هذا الوزن من قائمة المهملات و ضمّه إلى طائفة المستعملات بعد أنْ عثرَ على قصائد نُسجتْ على منواله الإيقاعي لم يعثر عليها الخليل، أو لم يجد فيما وقع عليه منها شعرية تجعلها خليقةً بأنْ تُذكر ضمن ما جادتْ به قرائح الفحول و المؤهوبين من الشعراء. لكنْ، مع هذا كلّه، ذكر الفراهيدي تفعيلات بحر التدارك و اعتبر وزنها من المهمل.

و تقوم طريقة استعمال الدوائر العروضية على وضع رموز تفعيلات شطر بيت البحر الذي تُفتح به الدائرة في محيطها، بدءاً من النقطة التي في أقصى يمين قطر الدائرة، ثم السيْر بتلك الرموز نحو الشمال؛ أي في عكس اتجاه عقارب الساعة حتى تملأ الرموز محيط الدائرة. و بعد هذا تُرسم دائرةٌ ثانية يُبدأ فيها بما يلي السبب أو الوتد الذي كان في أول الدائرة الأولى، و تُسجَّل باقي الرموز بترتيبها، ثم تُغلَق الدائرة بالسبب

أو الوتد المحذوف من أول الدائرة الأولى. و بهذا تُضمَن المحافظة على كمية الأسباب و الأوتاد للبحر الأول من جهة، و يُعثَر على وزنٍ جديد من الجهة الأخرى.

و مثال ذلك، دائرة المختلف المبدوءة ببحر الطويل، و التي سأبيّن طريقة البحث فيها عن البحور الأخرى في شكل أسطرٍ بدلاً من الدوائر لتعذر تطبيق تقنية الدوائر و وضع الرموز عليها، و هو ما يمكن تصويره كالآتي:

بحر الطويل: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

ـ **الدائرة الأولى:** //0[0/ /0/0/0// 0/0// 0/0/0//

الوتد الذي يجب حذفه

ليُضاف في آخر الدائرة التالية

ـ **الدائرة الثانية المتحصَّل عليها:** /0[0//0/0 0//0/ 0/0//0/ 0//0/

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن ← **بحر المديد**

مستعمَل

السبب الذي يجب حذفه

ليُضاف في آخر الدائرة التالية

ـ **الدائرة الثالثة المتحصَّل عليها:** //0[0/0/0 0/0// 0/0/0// 0/0//

مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن← **بحر المستطيل**

وهو مهمَل

الوتد الذي يجب حذفه و إضافته في آخر الدائرة التالية

ـــ **الدائرة المتحصل عليها:** 0//0/[0/ 0//0/ 0//0/0/ 0//0/

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ← **بحر البسيط**

وهو مستعمَل

السبب الذي يجب حذفه وإضافته

في آخر الدائرة التالية

ـــ **الدائرة المتحصَّل عليها:** 0//0/ /0//0/0/ 0//0/ 0/0//0/

فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن ← **بحر الممتَد**

وهو مهمَل

*** تمّتْ دائرة المختلف التي احتوتْ على خمسة بحور، اثنين مهملَين: المستطيل و المُمتَد، و ثلاثة مستعمَلة: الطويل و المديد و البسيط.**

**** و بهذه الطريقة يجب العمل في كل الدوائر الأربع الباقية.**

5 ـ 2 ـ بحور الشعر العربي ضمن دوائرها العروضية:

دوائر عروض الشعر العربي خمسٌ، هي: دائرة المختلف و دائرة المُؤتَلِف و دائرة المُجْتَلَب و دائرة المشتَبِه و دائرة المتَّفِق. و تحتوي كل دائرة على مجموعة من البحور، منها المستعمَل و منها المهمَل، و لكل بحر زحافات و علل تصيبه أكثر من غيره.

ـــ بحور كلّ دائرة عروضية:

أولا: دائرة المختلِف: و فيها كما بُيِّن خمسة بحور: المستطيل و الممتَد، و هما مهملان. و أمّا المستعمَلَة: فالطويل، مفتاح الدائرة، و المديد و البسيط.

ا ـ بحر الطويل: وزنه: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن.

أكثر الزحافات التي تقع فيه اثنان: **القبض**، فتصير فعولن⟵ فعولُ، كما تتحوّل مفاعيلن إلى⟵ مفاعلن.

و **الحذف**، الذي يقع غالباً في الضرب، فتصير مفاعيلن⟵ مفاعِلْ، و يمكن تحويلها إلى فعولن.

ب ـ بحر المديـد: وزنه: فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن.

أكثر ما يقع فيه من زحافات و علل أربعة: **الخبن**، فتصير فاعلن⟵ فعِلن، و تتحوّل فاعلاتن إلى⟵ فعِلاتن.

و **الحذف**، فتصير فاعلاتن⟵ فاعلن.

و **القصر**، فتصير فاعلاتن⟵ فاعلانْ.

و **الكف**، فتصير فاعلاتن⟵ فاعلاتُ.

ج ـ بحر البسيط: وزنه: مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن.

أكثر زحافاته: الخبن، مستفعلن⟵ متَفعلن (أو مفاعلن) و فاعلن⟵فعِلن. والطي، مستفعلن⟵ مسْتَعِلن. والخبل، مستفعلن⟵مُتَعِلُن.

ثانياً: دائرة المؤتلِف: و فيها ثلاثة بحور: مهمل المُتوافِر، و مستعمَلان: الوافر و الكامل.

ا ـ بحـر الوافـــر: وزنه: مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن.

أكثر ما يقع فيه علة **القطف**؛ وهي اجتماع الحذف و العصب، حتى إنّ عروض بحر الوافر و ضربه لزمتهما هذه العلة في كل استعمالات الشعراء، فتحوّلتْ فاعلاتن الأخيرة من كل شطر إلى← مفاعلْ← فعولن. مما جعل الناس جميعا يعدون وزن بحر الوافر أصلاً: متفاعلن متفاعلن فعولن.

كما يقع في هذا البحر زحاف **العصب**، مفاعلَتن← مفاعلْتن (او مفاعيلن).

ب ـ بحر الكامل: وزنه: متفاعلن متفاعلن متفاعلن.

و أكثر زحافاته **الإضمار**، متفاعلن← متْفاعلن← مستفعلن.

و أشهر علله **الحَذَذ**، متفاعلن← متفا← فَعِلُن.

ثالثاً: دائرة المُجْتَلَب: و فيها ثلاثة بحور مستعملة: الهَزَج و الرَّجَز و الرَّمَل.

ا ـ بحـر الهـــزج: وزنه: مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن.

يقع فيه **الحذف**، مفاعيلن← مفاعي← فعولن. زيادة على **القبض**، مفاعيلن← مفاعلن.

ب ـ بحر الرجز: وزنه: مستفعلن مستفعلن مستفعلن.

أكثر ما يقع فيه **الخبن**، مستفعلن← متَفعلن← مفاعلن، و **الطي**، مستفعلن← مستَعِلن، و **الخبل**، مستفعلن← مُتَعِلُن.

ج ـ بحر الرمل: وزنه: فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن.

يطرأ عليه زحاف واحد في الحشو، **الخبن**، فاعلاتن← فعِلاتن.

و تصيب تفعيلتا العروض و الضرب عللٌ ك**الحذف**، فاعلاتن← فاعلا←فاعلن، و القصر، فاعلاتن← فاعلاتْ، و التسبيغ، فاعلاتن← فاعلاتان.

رابعاً: دائرة المتفق: و فيها بحران مستعملان: المتقارب و المتدارك

ا ـ بحر المتقارب: وزنه: فعولن فعولن فعولن فعولن.

يقع فيه **القبض**، فعولن← فعولُ، و أحياناً **الحذف**، فعولن←فعو.

ب ـ بحر المتدارك: وزنه: فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن.

مما يصيبه الخبن، فاعلن← فَعِلن.

خامساً: دائرة المشتبِه: و هي أكثر الدوائر بحوراً؛ إذ تحتوي على تسعة بحور: ثلاثة مهملة وستة مستعملة، يُتوصَّل إليها بالطريقة نفسها التي أفضتْ بالخليل إلى باقي البحور.